الدرس الثاني عشر/ تجريد التوحيد المفيد للمقريزي

قراءة الطالب: الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد: قال المصنف-رحمه الله تعالى-:

"قلنا الشرك شركان، شرك متعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله، وشرك في عبادته ومعاملته، وإن كان صاحبه يعتقد أنه -سبحانه- لا شريك له في ذاته ولا في صفاته؛ فأما الشرك الثاني: فهو الذي فرغنا من الكلام فيه، وأشرنا إليه الآن، وسنشبع الكلام فيه إن شاء الله تعالى، وأما الشرك الأول، فهو نوعان، أحدهما: شرك التعطيل، وهو أقبح أنواع الشرك؛ كشرك فرعون في قوله: {وَما رَبُّ الْعالَمِينَ} وقال: {يا هامانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبابَ أَسْبابَ السَّماواتِ فَأَطَّلِعَ إِلى إِلهِ مُوسى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كاذِباً}، والشرك والتعطيل متلازمان، فكل مشرك معطل، وكل معطل مشرك، لكن الشرك لا يستلزم أصل التعطيل، بل قد يكون المشرك مقراً بالخالق ﷻ وصفاته ولكنه معطل حق التوحيد".

الشيخ -حفظه الله-: إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله أما بعد:

هذا جواب شبهة ذكرها المقريزي، وفي حقيقة الأمر أن الكلام لابن القيم في كتابه (الداء والدواء)، وسبق الكلام في تشخيص هذه الشبهة، وسأعيد ذلك بإيجاز، وبدأ يجيب عليها مبتدئاً بطريقة علمية دقيقة يعطيك مفتاح الجواب، وسيصرح بعد قليل أن هذا إدراك معنى الشرك والصلة بينه

وبين التعطيل هو مفتاح للجواب ثم يأتي بتفصيل آخر، أجاب على شبهة سبقت أن المشرك هو معظم لله، يقال كيف معظم لله؟ يقول: أنه يتخذ وسائط بينه وبين الله، وهو ليس معطلاً ذات ولا يزعم أن الله ﷻ ليس بحق، بل هو يثبت أن الله حق، ويثبت صفات الله تعالى، بمعنى أنه يعترف بتوحيد المعرفة والإثبات، وقلت لكم في الدرس السابق، التوحيد نوعان، أو التوحيد ثلاثة أنواع، توحيد المعرفة والإثبات وهو توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات أو توحيد الطلب وهو توحيد الألوهية، يعني الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات، يقسم قسمين، وأحياناً ثلاثة أقسام، فهذا المشرك لا يريد أن يستهين بالله، ولا أن ينكره، ولا أن ينكر صفاته، إنما يريد ألا يدخل عليه مباشرة، يريد أن يتخذ الوسائط، فهذه غفلة، الشرك نوعان: شرك فيه جحود لله وصفاته، وشرك فيه شرك مع عبادته ﷾، نرجع قليلاً إلى قبل الكلام الذي قرأناه، لتتضح الأمور على وجه أكثر، قال: " ما السر في صرف العبادة لغير الله تعالى لا يغفر الله ﷻ به من بين سائر الذنوب، كما قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ}، الأمر خطير، ما دام أن الله لا يغفر له ويغفر ما دون ذلك من الكبائر والذنوب والمعاصي، الأمر خطير، ثم قال بعده: {وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا}، المشرك مفتري على الله ﷻ، نعم الشرك أقسام والشرك درجات، ولكن كل مشرك مفتري على الله ﷾، هذا الذي اتخذ الوسائط شبّه عبادة الله والدخول على الله في العبادة، كالدخول على الملوك، والملوك بشر، الملوك لا يعلمون الغيب، والله يعلم الغيب، الملوك يحتاجون إلى وزراء ويحتاجون إلى ممراتهم حتى يبقوا عندهم، والله ليس بحاجة لأحد، فأصل الشبهة قائمة على شيء باطل، يقول: "فيكون تحريم هذا إنما استفيد بالشرع فقط أم ذلك قبيح في الشرع والعقل؟! يمتنع أن تأتي به شريعة من الشرائع"، هذه فيها إيماء بمسألة، وهذه المسألة لو أردنا أن نبسطها لطال الكلام، وهي هل التحسين عقلي أم شرعي؟ التحسين في الشرع الذي يحكم به العقل أم الشرع؟ المعتزلة قالوا: عقلي محض، الأشاعر قالوا: شرعي محض، وأهل الحق يقولون الشرع حاكم والعقل كاشف،

فخلَّصوا أدلة الفريقين، أعني المعتزلة والأشاعرة خلّصوهما من بين فرث ودم لبناً خالصا سائغاً للشاربين، الأحكام على الأشياء بحكم الشرع، والعقل كاشف له، والفطرة تؤيد ما جاء به الشرع، وتكلم على هذه المسألة بإسهاب الإمام ابن القيم في كتاب (مفتاح دار السعادة) وطوّل فيها، ولي العبد الضعيف تعليقة مهمة على (الموافقات) للشاطبي في بيان هذه المسألة.

بدأ المصنف بأن أعطاك مقدمات لنسف تلك الشبهة، مع أنه حام حولها في الفقرة السابقة التي تعرضنا لها، فبدأ يؤصل مع تكرار الكلام، في تكرار في الكلام السابق واللاحق، والسبب أن الذي في هذا الكتاب عصارات وزُبد وخلاصات لكلام ابن القيم في عدة كتب، فلما يأتي بالخلاصات يبدأ يظهر التكرار، قال: "الشرك شركان: شرك متعلق بذات المعبود"، بالله ﷻ، وهذا هو شرك الربوبية، وهذا هو الإلحاد في ذات الله، والإلحاد في صفات الله، "الشرك شركان" بناء على أن التوحيد يقسم إلى قسمين، المعرفه والإثبات، والطلب، قال: "شرك متعلق بذات المعبود وهو شرك الربوبية، وشرك يتعلق بأسمائه وصفاته وأفعاله وهو شرك في الأسماء والصفات" هذا النوع الأول، النوع الثاني: شرك في عبادته ومعاملته، أن تشرك بالله تعالى في طاعته، في عبادته، فتصرف قلبك وعبادتك وتعظيمك لغير الله ﷻ، "وشرك في عبادته ومعاملته وإن كان صاحبه يعتقد أنه –سبحانه– لا شريك له في ذاته –موحد توحيد الربوبية– ولا في صفاته –وهو توحيد أسماء وصفات"، عنترة الجاهلي يقول لعبلة حبيبته يقول: "واعلمي أن الله في السماء قضاها" حتى هو يعرف أن الله في السماء، كلام كثير لأهل الجاهلية يعلمون أن الله في السماء، فرعون يعلمون الله في السماء، فرعون في حقيقة أمره يعلم أن الله في السماء، كما سيأتينا بعد قليل، فليس كل كافر مشرك بالله في ربوبيته، وليس كل كافر مشرك بالأسماء والصفات، مع ما نوهنا عليه من الصلة القوية بين الربوبية والألوهية، قال: "فأما الشرك الثاني – إيش يعني الشرك الثاني؟ الشرك في الألوهية– الذي سبق الكلام عليه"، وسيأتي الكلام عليه أيضاً، وقلنا من ميزة كتابنا الذي ندرسه أنه الكتاب الوحيد، أو أول ما أُلف في الإسلام في توحيد الألوهية، هذا

الكتاب متخصص في توحيد الألوهية، قال: "وأما الشرك الثاني الذي هو شرك العبادة والمعاملة فهو الذي فرغنا -الذي ذكر صوراً لشرك العبادة وطوّل فيها وختمها أخيرا بالشرك الأصغر، وذكر الحلف بغير الله وذكر شرك الإرادات والنيات-، من الكلام عليه الذي ذكرناه سابقا" وختمنا به الكلام عن الشرك الأصغر وفرعناه إلى فرعين، الفرع الأول: الشرك في الألفاظ، والنوع الثاني: الشرك في الإرادات، قال: و"أشرنا إليه، وسنشرع الكلام عليه إن شاء الله تعالى" سيأتي أيضاً كلاما مهماً في هذا الباب، "وأما الشرك الأول: فهو شرك الربوبية وشرك في الأسماء والصفات" هذا النوع الأول المعرفة والإثبات، قال "فهو نوعان: أحدهما شرك التعطيل": أن تعطل هذا الكون عن خالقه، وأن تزعم أن هذا الكون ليس له خالق، قال: "وهو أقبح أنواع الشرك" شرك التعطيل هو أقبح أنواع الشرك، هناك شرك فرعون، {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ} ماهي الأسباب؟ {أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا}، هذا في غافر، وفي القصص: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ}، أوقد لي على الطين حتى يصبح فخارا، وابني لي مقصورة أصعد عليها لأبحث عن رب موسى، الفطرة أن الله في السماء، والكلام بدلالة الإيماء توحي أن موسى أخبر فرعون أن الله في السماء، ولماذا قال لهامان ابن لي صرحا لعلي اطلع إلى إله موسى لماذا قال هذا؟ لأن موسى عليه السلام أخبره اين الله ﷻ ؟ الله ﷻ في السماء، بمعنى على السماء، "ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء" ارحموا من على الأرض يرحمكم من على السماء، وليس السماء مسكناً لله، وقلنا من ألفاظ الكفر "يا ساكن السماء"، يعني السماء والكون الله جل في علاه مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه، بائن ليس في خلقه ربنا سبحانه وتعالى، كما قال ﷻ: {وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ}، الناس في يوم القيامة يردون إلى الله ﷻ ، فالله ﷻ في مكان هذا المكان نحن نقول عنه مكان عدمي، قال: والشرك والتعطيل متلازمان" المشرك معطل لحق الله ﷻ، فكل

مشرك معطل وكل معطل مشرك، لكن الشرك لا يستلزم أصل التعطيل، "لكن الشرك" ما المراد بـ"لكن الشرك" هنا؟ المراد شرك الألوهية، لا يستلزم أصل التعطيل، فالمشرك معطل من ناحية وأحياناً مشرك من ناحية أخرى، المعطل الصِّرف الذي يعطل وجود الخالق، أو يعطل صفات الله ﷻ، لكن قد يكون شرك ألوهية مثبت لوجود الله ومثبت لصفات الله، قال: "لكن الشرك – الألوهية– لا يستلزم أصل التعطيل بل قد يكون المشرك مقرا بالخالق" هذا مفتاح الجواب، قد يكون فيه شرك مقر بالخالق، ومقر بصفات الخالق، ولكنه معطل حق التوحيد، أي توحيد هنا؟ توحيد الألوهية.

قراءة الطالب: قال المصنف –رحمه الله–: "وأصل الشرك وقاعدته التى يرجع إليها هو التعطيل وهو ثلاثة أقسام :أحدها:تعطيل المصنوع عن صانعه .الثانى :تعطيل الصانع عن كماله الثابت له .الثالث:تعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد .ومن هذا :شرك أهل الوحدة، ومنه :شرك الملاحدة القائلين بقدم العالم وأبديته، وأن الحوادث بأسرها مستندة إلى أسباب ووسائط اقتضت إيجادها ويسمونها :العقول والنفوس.ومن شرك معطلة الأسماء والصفات كالجهمية »٣ «والقرامطة »٤ «وغلاة المعتزلة. والنوع الثاني شرك التشبيه والتمثيل وهو شرك من جعل معه إلها آخر كالنصارى في المسيح واليهود في عزير والمجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور وحوادث الشر إلى الظلمة، وشرك القدرية المجوسية مختصر منه، وهؤلاء أكثر مشركى العالم، وهو طوائف جمة،منهم من يعبد أجزاء سماوية. ومنهم من يعبد أجزاء أرضية، ومن هؤلاء من يزعم أن معبوده أكبر الآلهة، ومنهم من يزعم أن إلهه من جملة الآلهة.ومنهم من يزعم أنه إذا خصه بعبادته والتبتل إليه أقبل إليه

واعتنى به، ومنهم من يزعم أن معبوده الأدنى يقربه إلى الأعلى الفوقاني، والفوقاني يقربه إلى من هو فوقه حتى تقربه تلك الآلهة إلى الله سبحانه وتعالى، فتارة تكثر الوسائط، وتارة تقل

هذا الكلام بطوله إلى قوله: "وتارة تقل" منقول من ابن القيم في كتابه (الداء والدواء)، وهذا كله كما قلت مفتاح لجواب على تلك الشبهة لأن شرك الذين يتعلقون بغير الله ﷻ ويشركون بالله ﷻ في ألوهيته يرددون تلك الشبهة، وهي الوسائط بيننا وبين الله ﷻ، قال: "أصل الشرك وقاعدته التعطيل" أظهر شيء في مظاهر الشرك التعطيل، التعطيل أن يجحد المخلوق خالقه ﷻ وهذا هو شرك الملاحدة الذين لا يرجعون ما يرون من آثار إلى الله ،ﷻ ويقولون هذه خلقت بالصدفة وما شابه من الترهات والخرافات والبواطيل الذي للأسف تنتشر الآن موجة إلحاد مصنوعة وليست حقيقة، وسببها المثلية والقضايا الجنسية، السبب الحقيقي وراء نشر الإلحاد يريدون إطفاء واعظ الله من القلوب، فيذكرون الخالق حتى يروجون ما يريدون من الموضة الموجودة اليوم بزعم أنه الموارد أقل من عدد سكان الناس، والناس سيموتون جوعاً وبالتالي تقضي شهوتك الرجل مع الرجل والمرأة مع المرأة حتى لا يكون الولد، وهذا زعم باطل وكلام فارغ إلى آخر الكلام، فهذا النوع الأول من أنواع التعطيل وهو التعطيل المصنوع عن صانعه، هناك تعطيل آخر، تعطيل الصانع عن كمال الثابت له، الذي هو تعطيل الأسماء والصفات، اندثرت فرق كثيرة ولله الحمد والمنة، الذين منهم من أثبت ذات الله دون صفاته، وكانت العقدة عنده في هذا الباب الصلة بين تعدد الأسماء وذات الله الواحدة، وزعم بعضهم وتخيل أن على كلامه براهين عقلية أننا إذا أثبتنا صفات الله متعددة، فإننا سنضطر إلى إثبات ذوات متعددة، فأنكروا الصفات وأثبتوا الذات ومنهم من أثبت الأسماء لله دون الصفات، من المعلوم في الشرع والعقل أن الصفات إذا أضيفت إلى ذوات متعددات فإنها تختلف باختلاف الذوات، وهذا في حق المخلوق، تقول: رأس وأضف الرأس إلى ذوات مخلوقات متعددات، فقل: رأس الإبرة، وقل: رأس الجمل، وقل: رأس الإنسان وقل: رأس الحيوان، فالصفات تختلف باختلاف الذوات، فكيف إذا أضيفت الصفة لله؟! فكيف

تكون الصفة المضافة لله ﷻ فهي تختلف عن الصفة المضافة للبشر، لما الله يصف نفسه، يد الله فيده ليست كذوات البشر، ليست الجارحة، ومن ها هنا الصلة بين الذات والصفات ذهب بعض من اعتمد على عقله، وابتعد عن الشرع وزعم أننا إذا أثبتنا صفات متعددات فسنثبت ذوات متعددات، فذهب إلى إنكار الصفات بالكلية، التعطيل المذكور ها هنا مذهب باطن كافر يخرج صاحبه من الملة، وهذا التعطيل فيه إثبات ذات مجردة دون أي صفة، وقال أهل التحقيق من أهل التوحيد: "الذات المجردة التي لا صفة لها، لا وجود لها إلا في العقل، ولا وجود لها في الخارج"، ولذا أهل السنة بالمفهوم العام يثبتون الصفات، يثبتون الأسماء، الصفات عند أهل السنة بالمفهوم العام منهم من يثبت بعض الصفات ويؤول بعضها، ومنهم من يثبت كل صفة وردت لله ﷻ في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ، والمسألة عندهم سهلة، ومنهم من يزعم أنه يفوض الصفات، يثبتها ولكنه يفوضها، فبدأ أهل السنة أو قل بتعبير أدق مذهب أهل القبلة، أنا أتكلم الآن عن أهل السنة بمفهومه العام، انقسموا في إثبات الصفات إلى ثلاثة أقسام: مذهب الأشاعرة يثبتون بعض دون بعض وهم خارجون من هذه القسمة، هم ليسوا كفاراً ومن كفرهم أخطئ، فهم يثبتون لله صفات، هو يتكلم عمن أنكر الذات، أو أثبت الذات فقط دون أي صفة، فهذا كافر، أما من أوّل بعض الصفات دون بعض، فهذا ليس بكافر، مذهب الأشاعرة مذهب المفوضة، ومذهب المفوضة هو مذهب الماتيريدية، جل علماء الحنفية ماتيريدية، ومنهج السلف الصالح الذين يثبتون جميع الصفات ولم يؤوِّلوا بعضها، لا يؤولون شيئاً، والكلام في هذا الباب طويل، ويخرجنا عن توحيد الألوهية، ولكنه اضطر في التقسيم إلى هذا التنويع، أن المعطل تبدأ بتعطيل الذات، أو تعطيل الصفات، أو الجانب الثالث في التعطيل وهو تعطيل حق الله ﷻ في العبادة، نحن نقول أن الصفات إذا أضيفت لذات الله فهي تختلف اختلافا كليا جذريا عن صفة المضافة للخلق، ولذا قال الله ﷻ: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} ، فالله نفى ثم أثبت، وهذا هو التوحيد نفيٌ وإثبات، حتى توحيد الألوهية تأتي لكل من تستحق تنفي العبودية عمن

لا يستحقها من المخلوق، وتثبتها لله ﷻ، قال ابن اسحاق بن راهويه وذكر أحاديث النزول فقيل له كيف ينزل؟ فقال سبحان الله قولوا لي كيف هو أقول لكم كيف ينزل!! الله غيب، والعقل لا يمكن أن يحيط بالله، ولذا أسماء الله التي نعرفها هو مقدار معين، وليست فيها جميع أسماء الله، لقوله ﷺ: "أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته لأحد من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك" هناك أسماء الله ﷻ استأثر بها، وهذا هو سر الإلحاد، الملحدون يريدون أن يحيط عقلهم بالله، والأمر مستحيل، فلما عجزوا عن هذا لجأوا للإلحاد، ولهذا أبو حنيفة –رحمه الله- كان يجلس مع ملحد على نهر دجلة في العراق، فأدرك الإمام أبو حنيفة مع نقاشه لهذا الملحد أنه يريد أن يحيط عقله بالله، فتغافل عنه أبي حنيفة، فحفر حفرة صغيرة وأخذ الماء من دجلة يضعه في الحفرة، فقال له الملحد: " تنقطع عن الحجة" بانشغاله في الحفرة، قال: "انقطعت في النقاش" يعني الغلبة لي، وأنت انقطعت وتركت النقاش وبدأت تحفر حفرة، وتوضع الماء في التراب فقال له: "أنت الذي انقطع، أنا أريد أن أنقل دجلة في هذه الحفرة، قال: أنت مجنون! تنقل دجلة في هذه الحفرة! قال: أنت المجنون تريد أن يحكم عقلك وأن يحيط عقلك بالله ﷻ"، فشبّه الأمر بهذه الحفرة، فالشاهد أن الصفات نثبتها كما أثبتها الله ﷻ لنفسه من غير أن نعطل أي صفة ثبتت في الكتاب والسنة، وأرجوا منكم رجاء أن تراجعوا (الصواعق المرسلة) لابن القيم، الجزء الثاني وتقرأون من صفحة (690-700)، ذكر الإمام ابن القيم في عشر صفحات تاريخ الفرق التي مرت على الإسلام من أول نشوئها إلى زمانه، ورد الأمر في نشوئها كلها إلى عقدة تقديم العقل على النقل، كل الفرق الضالة إنما منشؤها أنهم يقدمون عقولهم على ما ورد في النقول، شيخ الإسلام لما ذهب إلى مصر وسجن، وعقدت له محاكمات فأدرك المشكلة، والمشكلة شيء يسمى (القانون الكلي) والقانون الكلي قال به الفخر الرازي، والقانون الكلي مقتضاه: "أن العقل لا يقبل نصوص الآحاد، وأن العقل القطعي مقدم على النقل الظني"، وهذا طاغوت كبير، وله أثر عظيم وهو مضاد لما جاءت به الأنبياء،

وبدأ يفصِّل ابن القيم وردّ نشوء جميع هذه الفرق إلى هذا الأصل، والصواب الذي قرره شيخ الإسلام في كتابه العظيم (درء تعارض العقل والنقل) والكتاب مطبوع بـ (11) مجلد، العقل والنقل أيهما يقدم، فقرر فيه: "أن النقل الصحيح لا يعارض العقل الصحيح" فإذا وقع تعارض إما أن يكون العقل ليس بصحيح، وإما أن يكون النقل ليس بصريح، قرر فيه هذا واستنبط أشياء جميلة مثل قول ابن نوح عليه السلام لما قال:{ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ} فقال: "قول نوح لولده اركب معنا نقل، وقول ابن نوح سآوي إلى جبل يعصمني من الماء عقل، والنقل والعقل لما يختلفان، فالحكم للنقل" ما أجمل أن يكون الإنسان على فطرته، وأن يسترسل بها وألا يتلوث بكلام أهل الفلسفة، وأن يبقى مسلِّما قلبه وعقله، ويتسع قلبه ويسلم عقله للنص، وأن يبقى النقل هو الحَكم في كل شيء، الأشاعرا أثبتوا شيئ ونفوا شيئ، والماتيريدية قالوا بالتفويض، والرد على هؤلاء أن هنالك قسم مشترك بين الخالق المخلوق في الفهم، الله عز وجل ذكر لنا الجنة :{كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ} ، فابن عباس يقول: "الأسماء متشابهة"، التشابه في الاسم، الله ذكر الحور العين، وقبل ذكر الحور العين الفُرش، دائما في القرآن قبل ما تذكر الفُرش الطعام والشراب، على مذهب المفوضة نحن لا نعرف ماهي الحور العين، لعلها طعام، لعلها شراب، لكن الحور العين نساء من السياق والسباق، وبتفصيل سُنة النبي ﷺ، لو قلنا السنة آحاد والحور ما نعرفها، ونفوض أمرها لربنا هذا ليس بصحيح، هناك قسم مشترك، فلما الله يقول "يد" ولا نقول يد الله أي قدرة الله، الله يقول يد كما قال، يد مثلنا أعوذ بالله هذا تشبيه، ولذا قالوا: "من عطّل الصفات عبدَ عدما" من عطل كل الصفات في حقيقة أمره عبد عدما، ومن شبّه عبد صنما، الذي يشبه يعبد صنم.

قال: "وأصل الشرك وقاعدته التي يرجع إليها التعطيل وهو ثلاثة أقسام تعطيل المصنوع عن صانعه، تعطيل الصانع عن الكمال الثابت له، الثالث تعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد" وهذا هو تعطيل العبادة لله عز وجل، ومن هذا شرك أهل وحدة الوجود، تعرفون من هم

أصحاب وحدة الوجود؟ مذهب كافر خارج من الملة من قال به، بعض الناس يردده وهو لا يفهم، تقول أين الله؟ يقول لك الله في كل مكان، من زعم أن الله في كل مكان هذا يقول بمذهب أهل وحدة الوجود، وهو أن الخالق والمخلوق سيان، الله في داخل خلقه، الله يقول: {ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا} ، الله خبير بنفسه، قال: "من هذا شرك أهل وحدة الوجود" قالوا ليس هنالك خالق ومخلوق، قال: الموحد الذي لا يفرق بين الخالق والمخلوق، قالوا ومن فرق بين المخلوق والخالق كفر، هذا الكفر عندهم، لا يفرقون بين الخالق والمخلوق، وهذا مذهب رديء، فالله ﷻ منزه عن كلام أهل وحدة الوجود، بل بعضهم لام الأنبياء كيف نهوا أقوامهم عن عبادة الأصنام؟! قالوا: "الذين يعبدون الأصنام يعبدون الله الذي في الصنم"، وقلت لكم في بداية هذه الدروس ولعلكم تذكرون والآن تربطون، مذهب أهل وحدة الوجود هو في الحقيقة مذهب الاشتراكيين والملحدين، الملحد والمشرك يقول: "لا أؤمن إلا بما أرى"، الوجوديون والاشتراكيون الكفار الملاحدة يقولون: "لا نؤمن إلا بما نرى فقط" هؤلاء يقولون الخالق والمخلوق واحد، فكلا المذهبين عند التحقيق هما واحد ليس بمذهبين، ومن هذا شرك أهل الوحدة ومن شرك الملاحدة القائلين بقدم العالم وأبديته، الذين يجهلون وجود الخالق ﷻ، ويقولون العالم قديم، والعالم ليس له إله، وكذلك أن الحوادث بأسرها مستندة إلى أسباب ووسائط اقتضت إيجادها يسمونها العقول والنفوس ولا يرجعون ذلك إلى الله ﷻ، وهذا هو شرك الفلاسفة، وسيأتي بعد قليل تنويه فيه شيء من الطول، قال: "ومنه شرك معطلة الأسماء والصفات"، فالجهمية فقط يثبتون أن الله فاعل قادر فقط، لا يثبتون أي اسم لله ولا يثبتون أي صفة لله ﷻ، الجهمية أتباع الجهم بن صفوان، والجهم بن صفوان أخذ مذهبه من الجعد بن درهم، والجعد أخذ مذهبه من طالوت اليهودي، وطالوت اليهودي أخذ مذهبه من لبيد بن الأعصم، يعني كل الأمر يدور إلى اليهود، واليهود معطلة، وقسم من اليهود مشبهة، والخلاف بين اليهود والنصارى شديد في المعتقد، وأنا أعجب كل العجب كيف يتخذ اليهود مع النصارى ديانةً، وهذا دلالة على أن الشرع ليس

له منزلة لا عند اليهود ولا عند النصارى، اليهود يزعمون أن مريم في التوراة بَغي، التي أنجبت عيسى عليه السلام، والصراع بين اليهود والنصارى على أشده، والصراع بين النصارى فيما بينهم على مذاهبهم شديد، لكن الآن الذي يتحكم في الصراع ليست الديانة، ليس الدين، والذي بقي مُحكما النصوص الشرعية أهل الأثر، وما عدا ذلك لعبت فيهم العقول، والموروث والمصالح والسياسات، أما أهل الأثربقي يقولون: قال الله ،عز وجل قال رسوله صلى الله عليه وسلم، ولم يتأثروا بأي مؤثر خلاف ما جاء في الشرع، قالوا: "شرك المعطلة معطلة الأسماء والصفات كالجهمية والقرامطة" القرامطة أتباع حمدان قرمط، وكانت القطيف، وقتل جنود حمدان هذا الحجاج، وألقوهم في بئر زمزم، وأخذوا الحجر الأسود ومكث عندهم قرابة عشرين سنة، وبنى لهم في هجر في البحرين بنى لهم كعبة، وكان أتباعه يحجون بالكعبة ويتركون بيت الله عز وجل الحرام، هم فرقة من فرق الباطنية تنسب للشيعة، الشيعة الباطنية، وهؤلاء كفار لا يثبتون لله عز وجل أي صفة من الصفات، وغلاة المعتزلة، المعتزلة أقسام لا نكفر المعتزلة، ولا نكفر الخوارج، أهل السنة لا يكفرون وأهل السنة أجبن الناس عن التكفير، لكن من أنكر الله وأنكر صفات الله من غير تأويل هذا كافر، لذا قال أتباع المعتزلة أتباع واصل بن عطاء، وكان تلميذا عند الحسن البصري، فلما اعتزل مجلسه، قيل لهم معتزلة، وغلاة المعتزلة يجحدون جميع صفات الله تعالى، يثبتون الأسماء لكن لا يثبتون المعاني، وهذه زلة عظيمة وقع فيها ابن حزم، يقولون الله عليم لكنه بلا علم، الله قدير بلا قدرة، يثبتون الأسماء دون الصفات، شيخ الإسلام في الصفدية بسط مذهب ابن حزم بسطاً طويلاً، ورد عليه رداً شديداً فزل ابن حزم في هذا الباب، فمن أثبت الأسماء لله، ولم يثبت الصفات هذا ليس بكافر، من هو الكافر؟ الذي لم يثبت لا اسما ولا صفة، فالقرامطة والجهمية وغلاة المعتزلة، المعتزلة ليسوا كفارا، لكن غلاة المعتزلة الذين لا يثبتون لله اسما ولا صفة فهؤلاء الكفار، المعتزلة في مذهبهم يثبتون الأسماء ولا يثبتون الصفات، ولذا هؤلاء ليسوا بالكفار، هذا نوع من أنواع الشرك، هذا النوع الأول ثلاثة أقسام، نوع آخر من الشرك وهو شرك التمثيل، وشرك التمثيل هذا شرك في

الربوبية، وهو شرك من جعل معه تعالى إلها آخر كالنصارى والمجوس واليهود مشركون شرك ربوبية، بسبب أنهم لا يثبتون لله ﷻ أنه واحد، فمن آمن بأكثر من إله هذا مشرك شرك ربوبية، كما فعل النصارى في المسيح، واليهود في عزير، {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ}، فهؤلاء كفار، قال: "كالمجوس" وهذا سبق بيانه، أن المجوس يؤمنون بإله خير إله شر، وأن الخير عن النور وأن الشر عن الظلمة، فهم يثبتون إلهين، وبالتالي هؤلاء ليسوا موحدين، ومن لم يكن موحدا، فهذا مشرك شرك ربوبية، وشبيه بهم القدرية الذين يقولون: أن الخير خلقه الله، وأن الشر خلقه إبليس، فهؤلاء في حقيقة أمرهم مشركون شرك ربوبية، ولكن هؤلاء اندثروا كما قال القاضي عياض في كتابه (إكمال المعلم)، القدرية النفاة الذين لا يثبتون أن الله خلق، وذكرنا هذا مفصلاً، وذكرنا الإرادة الشرعية والإرادة الكونية وطولنا فيها.

قوله: "وشرك القدرية المجوسية مختصر منه وهؤلاء أكثر مشركي العالم"، وهؤلاء طوائف وبدأ يفصل، من الطوائف من يعبد أجزاء سماوية، من الذي يعبد الأجزاء السماوية؟ الصابئة قوم إبراهيم عليه السلام، الذين بُعث إليهم إبراهيم عليه السلام، هؤلاء يعبدون الشمس والقمر والنجوم والكواكب، ويشبهون هذه الأشياء بالله، ويتوجهون إليها بالعبادة، فهؤلاء صنف يعبدون أجزاء سماوية ، كفار خارجين من الملة، {لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}، ومنهم من يعبد أجزاء أرضية كالأشجار والأحجار والأصنام، كحال الجاهلية التي بعث إليها رسول الله ﷺ، ومنهم من يزعم أن معبوده أكبر الآلهة، يفتخر على غيره بأن مخلوقه أكبر من شمس والقمر هذا أكبر من الشمس ومن القمر، فيفتخر على غيره بأن مخلوقه أكبر، ثم قال: "ومنهم من يزعم أنه إله من جملة الآلهة"، عبارة ابن القيم أحسن من هذا عبارة ابن القيم في (الداء والدواء): "ومنهم من يزعم أنه إله من جملة الآلهة، وأنه إذا خصه بعبادته والتبتل إليه أقبل إليه واعتنى به" وهذه أوضح في المراد، قال: "ومنهم من يزعم أن معبوده الأدنى يقربه للأعلى الفوقاني، والفوقاني يقربه إلى من هو فوقه، حتى تقربه تلك الآلهة إلى الله سبحانه وتعالى، فتارة تكثر الوسائط

وتارة تقل"، هذا الذي نوهنا به سابقا توحيد الفلاسفة، الذين يعتبرون أن الكون وجد من العقل الفعال، والعقل الفعال معه عشرة عقول، وكل عقل يوصل للعقل الذي قبله وهكذا، هذا كلام الفلاسفة، لذا شيخ الإسلام كان حريصا على التوحيد حرصا شديداً، وندم في آخر حياته وقال: "يا ليتني بقيت مع القرآن" شيخ الإسلام انشغل بكل الفرق، وخصّهم بدراسات شديدة، الفلاسفة خاصهم بـ (نقض المنطق) ، هناك رسالة دكتوراة مطبوعة برسالة بديعة جداً، (المنطق الأرسطي عند ابن تيمية) فصل في اليهود والنصارى، وخص الأشاعرة خصهم بعدة دراسات، الفلاسفة، الملاحدة ما ترك شيئا، لذا شيخ الإسلام –رحمه الله– الكل يتكلم فيه، اليهود والنصارى، الفلاسفة، الملاحدة كل الخلق يتكلمون عليه، ما ترك أحدا –رحمه الله تعالى–، للحقيقة الذي يعرف التوحيد ويغار على التوحيد لا يقبل أن يشارك الله تعالى أحد بشيء هو خاص به سبحانه وتعالى.

قراءة الطالب: قال المصنف –رحمه الله تعالى– فإذا عرفت هذه الطوائف وعرفت اشتداد نكير الرسول ﷺ على من أشرك به تعالى في الأفعال والأقوال والإرادات– كما تقدم ذكره– انفتح لك باب الجواب عن السؤال، فنقول:" اعلم أن حقيقة الشرك: تشبيه المخلوق بالخالق، وتشبيه المخلوق بالخالق، أما الأول: فإن المشرك شبه المخلوق بالخالق في خصائص الإلهية، وهي: التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع، فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق تعالى، وسوّى بين التراب ورب الأرباب، فأي فجور وذنب أعظم من هذا!"

الشيخ –حفظه الله–: هذه الطوائف المشركة التي تعبد غير الله ،عز وجل سواء أجزاء سماوية، أجزاء أرضية، مشركة التي عطلت حق الله عز وجل ، عطلت صفاته، عطلت أسمائه، أو عطلت صرف العبادة إليه وحده، وإنما صرفته لغيره، قال: "عرفت هذا عرفت اشتداد نكير الرسول ﷺ على من أشرك بالله في الأفعال والأقوال والإرادات كما تقدم ذكره" لذا كان الشرك ظلم عظيم، وكان

الشرك من اعظم ما يعصى الله تعالى به، وكان شرك من أسباب دخول جهنم، وحرم الله على المشرك أن يدخل الجنة، وقال: "وقد انفتح لك باب السؤال"، ثم بدأ يؤصل، نقل من (الداء والدواء) لابن القيم، ثم من ها هنا "فإذا عرفت هذه الطوائف وعرفت اشتداد نكير الرسول ﷺ" هذا كلام أيضاً بالحرف من ابن القيم في (الداء والدواء) أيضاً دعم بنقل طويل وجاء بنقل آخر، ولذا لما ينقل أيضاً يقع شيء من تكرار بسبب أن النقولات منتخبة من هنا ومن هنا، فيظهر التكرار، بدأ يوصل المسألة تأصيل آخر، اختلف التنويع، فقال: "اعلم إن حقيقة الشرك" ردها إلى أمرين: تشبيه الخالق بالمخلوق، وهذا يرجع إلى العابد، العابد يشبه الخالق بالمخلوق، قال: "وتشبيه المخلوق بالخالق" وهذا نوع آخر يرجع إلى المعبود، في شرك يرجع للعابد، و شرك يرجع إلى المعبود، بدأ بالأول وهو تشبيه الخالق بالمخلوق من قبل العابد، هذا نوع من أنواع الشرك، تنويع آخر في تقسيم الشيء الواحد، يقسم لعدة اقسام بعدة اعتبارات، فإذا نظرت إلى العابد والمعبود، فالآن تقول في شرك يخص العابد، و شرك يخص المعبود، القسم الأول الذي يخص العابد فالمشرك شبه المخلوق بالخالق شبه المخلوق بالمعبود الحق، فأعطاه شيئا من الخصائص التي لا تكون إلا إلى الله فأعطى المعبزود شيئاً من الخصائص الحقة التي لا تكون إلا لله ،ﷻ إيش الخصائص الحقة ؟ التفرد بالضر والنفع، يعتقد أن هذا المخلوق يضر وينفع، هذا شرك في حق العابد، فالعابد إذا اعتقد أن فلان يضر وينفع هذا في الحقيقة صرف العبادة إليه، بعض الناس حتى العوام لما يذكروا الجن يذكرهم بشر، فبدأ يعظم الجن لأنه أعطاه صفات النفع والضر، والنافع والضار الحق والحقيقة هو الله، وهو من خصائص الله، من خصائص الألوهية، فمن اعتقد أنه لا يضر ولا ينفع إلا الله ما صرف العبادة إلا إليه ﷻ، "التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع" بعض الناس يعتقد أنه يرزق بالوظيفة، يرزق من فلان لأنه عمل عنده، ونسي أن المعطي هو الله فقط، وأن المانع هو الله فقط، " اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت"، المعطي هو الله والضار هو الله والنافع هو الله، فإذا الإنسان اعتقد فضيع الشرك إلى العابد، لأنه أضفى على

المعبود صفة خاصة لله تعالى هي لله حق ولغيره باطل، "فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق وسوّى بين التراب ورب الأرباب" سوّى بين العاجز الضعيف من كل وجه، وبين الله الكامل من كل وجه، قال: "فأي فجور وذنب أعظم من هذا"، الشرك كما قال الله ﷻ:{ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}، لأن المشرك في حقيقة أمره وضع الأشياء في غير محلها، ثم بالنسبة إلى ما يعود إلى العابد أيضاً فيه تعدي، بأن جعل شيئاً خاصاً بالله لغيره.

قراءة الطالب: قال المصنف –رحمه الله– "واعلم أن من خصائص الإلهية الكمال المطلق من جميع الوجوه الذى لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وذلك يوجب أن تكون العبادة له وحده عقلا وشرعا وفطرة، فمن جعل ذلك لغيره فقد شبه الغير بمن لا شبيه له، ولشدة قبحه وتضمنه غاية الظلم: أخبر من كتب على نفسه الرحمة أنه لا يغفره أبد، ومن خصائص الإلهية :العبودية التى لا تقوم إلا على ساقي الحب والذل، فمن أعطاهما لغيره فقد شبه بالله ﷻ في خالص حقه، وقبح هذا مستقر في العقول والفطر، لكن لما غيرت الشياطين فطر أكثر الخلق واجتالتهم عن دينهم وأمرتهم أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا، كما روى ذلك عن الله أعرف الخلق به وبخلقه، عَمُوا عن قبح الشرك حتى ظنوه حسنا، ومن خصائص الألوهية: السجود، فمن سجد لغيره فقد شبه به، ومنها :التوكل، فمن توكل على غيره فقد شبهه به، ومنها: التوبة، فمن تاب لغيره فقدشبهه به، ومنها: الحلف باسمه تعظيماً، فمن حلف بغيره فقد شبهه به، ومنها: الذبح له، فمن ذبح لغيره فقد شبهه به، ومنها: حلق الرأس، إلى غير ذلك، هذا في جانب التشبيه".

الشيخ –حفظه الله–: هذا كله يرجع إلى العابد الذي شبه غير الله بالله، فصرف العبادة الحقة التي لله إلى المخلوق، لأنه أضفى على المخلوق صفة خاصة لله ﷻ، "واعلم أن الخصائص هي

الكمال من جميع الوجوه" فالله جل في علاه كامل سبحانه، صاحب الجلال والجمال والكمال في أسمائه وصفاته وأفعاله ﷻ، فلا نقص في أفعال الله، ولا في صفات الله، ولا في ذات الله، فمن عبد غيره فقدجعل هذا الكمال له دون الله ﷻ، ويكون قد أشرك به، قال: "وذلك يوجب أن تكون العبادة له وحده عقلا وشرعا وفطرة"، ولذا قال الله ﷻ:{وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا} المشرك مفتري على الله ﷻ، ولذا ثبت في حديث عبد الله بن مسعود في الصحيحين لما سئل النبي ﷺ أي ذنب اعظم فقال النبي ﷺ: "أن تجعل لله ندا وهو وخلقك" هو الذي خلقك، وهو الذي يطعمك وهو الذي يرزقك، وهو الذي يعطيك، وهو الذي يمنع عنك، فأنت تصرفه لغير الله ﷻ، فمن عبد غير الله خصه بشيء هو فقط لله ﷻ، "فمن جعل ذلك لغيره فقد شبه الغير بمن لا شبيه له ولشدة قبحه وتضمنه الله جل في علاه أخبر على من أخبر من كتب على نفسه الرحمة أن الله ﷻ لا يغفر الشرك أبدا"، وكذلك من خصائص العبودية الذل والحب، ايش هي العبادة؟ العرب تقول عبدت الطريق أي ذللته، العبودية حب والخوف بإرادتك، من أحب بدون ذل هذه ليست عبادة، نحب أمهاتنا، وأولادنا، وزوجاتنا من غير ذل، فالذل دون الحب ليس عبادة، والحب دون الذل ليس بعبادة، والعبادة حب وذل، يجتمع في قلبك الذل لله ويجتمع في قلبك حب الله، فالحب مع الذل يساوي عبادة، قال ابن القيم في النونية: "وعبادة الرحمن غاية حبه مع ذل عابده هما قطبان" قطبان: ذل وحب، ثم من صرف العبودية لغير الله هو صرف الحب الممزوج مع الذل إلى المعبود، فجعله معبودا دون الله ﷻ وهذا قبيح، أن تمزج الذل بإرادتك مع حبك إلى غير الله ﷻ هذا قبيح في الفطرة وقبيح في العقل، لكن سر الشرك لما غيرت الشياطين فطر أكثر الخلق، فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"، الشياطين اجتالت الخلق وحرفتهم وهذا ثابت في صحيح مسلم من حديث عياض ابن عمار المجاشري قال قال ﷺ فيما يرويه عن الله ﷻ: "إني خلقت عبادي حنفاء كلهم فاجتالتهم الشياطين، وحرمت عليهم ما أحللت

لهم، وأمرتهم أن يعبدوا ما لم ينزل به سلطانا"، كذلك خصائص العبودية السجود وفصلنا الكلام عن السجود وهذا قبيح ولا يشرع ان يسجد العبد إلا لله ﷻ: {وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}، وكذلك التوكل، التوكل الثقة بالله والاعتماد عليه، أن تعتمد على الله وأن تثق به في اعتمادك عليه، وكذلك التوبة وسبق هذا في الدرس الماضي، التوبة لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى، وقلت لكم هناك تكرار في الكتاب بسبب نقل طويل عن كتاب (الداء والدواء) ورجع إلى نقل ىخر طويل، هذا نقل آخر وابن القيم يتفنن في عرض التوحيد، وينوع طريقة العرض، فالنقل الأول باعتبارات ثلاث، وهنا باعتبارين، بالنسبة للعابد وبالنسبة للمعبود، قسم الشرك باعتبار آخر، العابد مشرك بالله لما يعطي صفة خاصة لله تعالى، فيصبح العبادة كالذي يحلف بغير الله ﷻ، وكالذي يذبح لغير الله ﷻ ، فمن ذبح لغير الله هذه عبادة، والشرك: العبادة الخاصة بالله تصرفها إلى غير هذا هو الشرك، {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} ذكر اسم الله عليه وانهمر الدم فكله كما يقول النبي ﷺ، فمن ذبح لغير الله ﷻ معتقدا أن النفع والضر في هذا المذبوح وتلطيخ الدم للذي تعتقد أن يأتيك منه الشر أو المحتمل أن يأتي منه الشر فهذه العبادة لغير الله ،ﷻ وهذا نوع من أنواع الشرك، كذلك حلق الرأس وقلنا حلق الرأس ليس كالحلق العادة، وإنما حلق بذل وحب، كالتائب الذي يمتثل بين يدي من يتوب عنده ويخضع ويذل، فهذا أيضاً عبادة خالصة لله ،ﷻ هذا نوع من ناحية التقسيم ، الشرك قسمين قسم يخص العابد وقسم يخص المعبود.

قراءة الطالب: "وأما في جانب التشبه، فمن تعاظم وتكبر ودعا الناس إلى إطرائه ورجائه ومخافته، فقد تشبه بالله ونازعه في ربوبيته، وهو حقيق بأن يهينه الله غاية الهوان، ويجعله كالذر تحت أقدام خلقه، وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال يقول: الله ﷻ : "العظمة إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى في واحد منهما عذبته "، وإذا كان المصور الذى يصنع الصور بيده من

أشد الناس عذابا يوم القيامة لتشبهه بالله في مجرد الصنعة، فما الظن بالمتشبه بالله في الربوبية والإلهية؟ كما قال ﷺ: "أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم" وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: يقول الله ﷻ : "ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى، فليخلقوا ذرة، فليخلقوا شعيرة"، فنبه بالذرة والشعيرة على ما هو أعظم منهما، وكذلك من تشبه به تعالى في الاسم الذى لا ينبغى إلا له، كملك الملوك، وحاكم الحكام، وقاضى القضاة ونحوه، وقد ثبت في الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال: "إن أخنع الأسماء عند الله رجل تسمى بشاهان شاه ملك الملوك لا مالك إلا الله" وفي لفظ: "أغيظ رجل عند الله رجل تسمى ملك الأملاك"، وبالجملة فالتشبيه والتشبه هو حقيقة الشرك؛ ولذلك كان من ظن أنه إذا تقرب إلى غيره بعبادة ما يقربه ذلك الغير إليه تعالى فإنه يخطئ لكونه شبهه به، وأخذ ما لا ينبغى أن يكون إلّا له، فأشرك معه ﷻ فيه غيره حقه، فبخسه سبحانه حقه، فهذا قبيح عقلا وشرعا؛ ولذلك لم يشرع ولم يغفر، فاعلمه"

الشيخ –حفظه الله–: إذن هنالك قسم من الشرك يعود للعابد، وقسم من الشرك يعود للمعبود، فتشبيه المخلوق بالخالق، من تعاظم وتكبر هذا الشرك يعود للمعبود، فمن تعاظم وتكبر ودعا الناس إلى إطرائه ورجائه، قال لهم بلسان الحال أو بلسان المقال، الجأوا لي فإن لجأتم إلي حلت مشاكلكم، وإن لجأتم إلي قضيت مآربكم، وفعلت لكم ما أريد فإني قادر على أن أغير كل شيء، ويفتقر عن الله ﷻ بالكلية، ويعتقد يفعل كل شيء، فهذا شرك في المعبود، قال: "فمن تعاظم وتكبر هذا في حقيقة تعاظمه وتكبره نازع الله تعالى في ربوبيته وهذا مآله والجزاء من نفس العمل أن يهينه الله ﷻ غاية الهوان ويجعله يوم القيامة كالذر"، كما ثبت عند الترمذي وهو صحيح صححه الإمام الترمذي قال قال ﷺ: "يحشر المتكبرون كأمثال الذر في صورة الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان" في المحشر هناك أناس الصورة صورة رجل، والحجم حم النمل، الناس

تجعلهم ذليلين تذلهم من كل مكان، السبب التعاظم والتكبر، من هو المتكبر؟ الذي يغبط الناس حقوقهم ، والذي يأتيه الحق فيرده، هذا هو المتكبر، الكبر ليس كفرا، لكن الكبر على أمر الله، فإبليس سبب كفره ليس عدم سجوده لآدم، وإنما سبب كفر إبليس إنما هو فأبى واستكبر، فلم يقر أن الله يستحق السجود، فكفر بإبائه واستكباره، وإلا لقلنا بقول الخوارج، الخوارج يكفرون بالمعصية لكن كفر إبليس ليس بالمعصية هو عصى الله بعدم سجوده لآدم، ولكن كفره استكبار، اتصف بالكبر فكان الجزاء من جنس العمل، ثم ذكر الإمام ابن القيم لفتة وحقيقة لفتة بديعة في بيان قبح الشرك بعد أن قال في الصحيحين عنه ﷺ: أنه قال الله ﷻ : "العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدا منهما عذبته" ثم ذكر لفتة بديعة في موضوع الصورة، ثم ذكر لفتة بديعة أخرى في الاسم، الحقيقة في التسمية وذكر تحريم التصوير ، ذكر أن من عُبد ورضي بالعبادة فقد شارك الله تعالى في خاصية له، وهذا شرك يعود للمعبود، ومن باب أولى أن يدعو الإنسان إلى عبادة نفسه، فمن دعا غيره إلى عبادة نفسه فهذا هو الطاغوت الأكبر، إذا كان جزاء مجرد التصوير أشد الناس عذابا، فهو جزاء من قدّم نفسه للناس على أن يعبدوه أو رضي أن يعبده الخلق، الصورة ممنوعة، أشد الناس عذاباً، الصورة ممنوعة في الشرع، الصورة التي لها ظل تمثال، الصورة التي ليس لها ظل مثل صورة الكتاب، والنبي ﷺ لما رأى صورة على ستار مرسومة فقال ﷺ لعائشة: "اشد الناس عذابا يوم القيامة الصورون يقال لهم أحيوا ما خلقتم" حتى في هذه الصورة فيها تهديد ووعيد في النار، ليست كفراً فإذن فمن دعا نفسه لأن يعبد أو رضي أن يعبده الناس، فالتصوير يتضمن مضاهاة خلق الله ﷻ، ويتضمن أنه ذريعة للشرك، فأول ما وقع الشرك في حق من عبد الصور، كيف بدأ الشرك في الدنيا ؟ في نوح عليه السلام، ونوح عليه السلام كان له تلاميذ صالحون يدعون الناس للخير، فماتوا فاتخذوا صورا لهم، صورة التي لها ظل أي التماثيل، قال الله ﷻ:{وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا}، هؤلاء كانوا صالحين فصنعوا لهم تمثيل فانتشر الشرك، لذا لما سئل في صحيح البخاري عبد الله بن

عباس: "أنا مهنتي التي أتأكل منها منها التصوير"، فنهاه ابن عباس وذكر الحديث: " أشد الناس عذابا المصورون" ثم قال له: "فإن أبيت بالشجر والحجر"، شيخنا الألباني يصحح حديث: "الصورة في الرأس فإذا قطع الرأس فسدت الصورة"، فالمصورون هم أشد الناس عذابا يوم القيامة، لفته جيدة من المؤلف وظف فيها حرمة التصوير على أن الشرع قال بأن من دعا الناس إلى نفسه ليعبد أو دعا أن يعبد الناس غير الله ﷻ فهذا مشرك، قال: "وكذلك من تشبه به تعالى في الاسم الذي لا ينبغي إلا له، هذا في التصوير، ثم اللفتة الثانية في الأسماء.

ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ : "إن أخنع الأسماء عند الله رجل تسمى بشاه شاه، ملك الملوك لا ملك إلا الله" رجل يسمى بشاه شاه هذه مدرجة في الحديث، هذه عند المحدثين على التحقيق من كلام سفيان بن عيينة، وقد انتشر في عهده هذه العبارة، أخنع الأسماء أن تقول: ملك الملوك، من ملك الملوك على الحق والحقيقة؟ الله، لا مالك إلا الله، فشاه شاه هو ملك الملوك بالفارسية، فهو أدخل شاه شاه بمعنى ملك الملوك، ولكن شاعت وذاعت في تلك الفترة في الصحيحين: "أخنع" في رواية عند البخاري: "إن أخنى اسم ملك الملوك" في رواية المسلم: "أغيظ" والمراد أقبح ما يمكن أن يسمى به الإنسان ملك الملوك، حتى هذا الاسم ملك الملوك هو خاص بالله، لا يجوز لك أن تشرك غير الله ﷻ به، في رواية عن الترمذي: "أخمع الأسماء عند الله تعالى يوم القيامة" فهو أخمع الأسماء عند الله يوم القيامة، هو في الدنيا كذلك، لكن يشتد غضب الله ﷻ على قائله، وأول من تسمى رسمياً باسم الإسلام بشاه شاه في عضد الدولة البويهي، وكان يصف نفسه بغالب القدر، فأخذه الله ﷻ أخذا شديدا، والنظر في موضوع الأسماء إلى المعنى، فالاسم الذي هو خاص بالله لا يجوز أن يسمى به غيره، مثل الله، الرحمن، الخالق، البارئ هذه أسماء خاصة بالله، لا يجوز أن يتسمى بها غيره، أما المعنى الذي يشترك فيها الخالق والمخلوق فلا حرج، مثل: الله يقول عن النبي ﷺ انه رؤوفاً رحيما، يجوز أن تسمي رؤوف، ويجوز أن تسمي رحيم، ويجوز أن تسمي عزيز، امرأة العزيز، فلا حرج في ذلك يجوز، أن تسمي علي، والله علي،

لكن علو الله ليس كعلو الخلق، يجوز ان تسمي جلال، وهو صاحب الجلالة ولكن جلالة المخلوق تختلف عن جلالة الخالق، إذا يجوز أن تصف الملك بجلالة الملك، ولا حرج في ذلك، فجلالة المخلوق غير جلالة الخالق، فهذه الأسماء الخاصة بالله الشرع سد ذريعة الشرك بأن منع العبد أن يسميها، فإذن موضوع التصوير موضوع الاسم، هي سد ذريعة لموضوع الشرك فلا يوجد سد لذرائع الشرك بالتفصيل، وقد أولاها الشرع عناية واهتماما، انا لا أعلم دراسة خاصة بها مع أن الكلام عن الذرائع كثير، لكن ذرائع الشرك تحتاج إلى إفراد في البحث، وبالتالي الشرك إما أن يعود للعابد وإما أن يعود للمعبود، هذا تقسيم آخر من أنواع اقسام الشرك ونكمل ان شاء الله تعالى في درسنا القادم.